معالم الطائفة المنصورة في عقر دار المؤمنين (بلاد الشام)

تأليف فضيلة الشيخ؛ أبي قتادة الفلسطيني
عمر بن مجمود أبو عمر

بشارة ووعد...
عن سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: (يا رسول الله؛ أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا؛ لاجهاد، قد وضعت الحرب أوزارها)، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال: (**كذبوا، الآن جاء دور القتال، ولايزال من أمتي أمَّةٌ يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إليّ إني مقبوض غير ملبَّث، وأنتم تتبعونني أفناداً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشام**).
الحديث صحيح رواه النسائي وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يا أيها الناس اتَقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساءً،

واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كـان عليكم رقيباً }.

{ياأيها الذين آمنـوا اتقـوا الله حق تقاته ولاتمـوتن إلا وأنتم مسلمون}.

{ياأيها الـذين آمنـوا اتقـوا الله وقولـوا قـولاً سـديداً، يصـــلح لكم أعمـــالكم ويغفر لكم ذنـــوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً }.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمـور محـدثاتها وكل محدثـةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار.

في هذا الوقت الذي يعيشه المسـلمون؛ عيشة الـذل والعار؛ فقدوا من أنفسهم معالم الهـدى والرشـد، وانقطع حبل الله الـــذي جمعهم عليـــه، حبل التمكين والســيادة، فتصاغروا أمام أنفسهم وأمام أعدائهم، وتغطـرس الباطل في بلادهم، وصار تيار الردّة هو الأقوى والأعلى، وتـواثقت حبال الشر بين الردّة الداخلية والكفر الخـارجي، وانشـغل المسـلمون بـاللهو والعبث، وتـداعت الجماعـات والفـرق الإسلامية الى أفكار الرجال واجتهاداتهم بعيداً عن مصـدر الهدى والنـور - كتـاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم - واشـتدت الغربة على المتمسـكين بهـذا الهـدي واشـتاقت نفوسـهم إلى الوعد الإلهي القــادم - النصر أو الشهادة –

في هذا الوقت والغربة قائمة، غربة الـدين ومعالمـه، وغربة أهل الحق وابتلاؤهم، نلقي على المسلمين رسـالتنا هـــذه؛ تـــدعوك أيها المســـلم لتبصر الحق من خلالهـــا، وترشدك إلى سواء السبيل، واعتقادنا أننا لسـنا بـدعاً في الزمـان، بل نحن حلقة من حلقـات هـذه الطائفة (طائفة الحق والجهاد) آلينا على أنفسنا - بعـون الله وتوفيقه - أن نتمسك بها مادام فينا عرق ينبض، ونَفَس يتلجلج، وابتغاؤنا ومقصدنا أن ندخل في خطاب العبودية لرب العالمين، ثم نكاية في أعـــداء الملة والـــدين، {**ولا يطـــؤون موطئاً يغيظ الكفـار إلا كتب لهم به عمل صـالح**}، لتقلب حياتهم التي أرادوها سعادة ونعيماً شقاوةً وعذاباً، ماداموا على ماهم عليه من الكفر والظلم.

أيها المسلم:

بطاقتنا إليك صغيرة الجنـاح، وراءها ما وراءها بتوفيق الله ومعونته وأول ما وراءها - إن شاء الله تعالى -

1) على كل قــول تــراه فيها دليل ســاطع، يهتـدي به السالك فلا يذل ولايخزى، بل له نسبة إلى خـير ما ينتسب الناس إليه {**كونـوا ربـانيين**}، وقد عجلنا لك فيها بعض ماعلمنا من الحق لأهميته وضــرورته. وســنكون معك في رسالة قادمة بل رسائل - إن شاء الله تعالى - نمـدك فيها بالأدلة الناصعة الواضحة.

2) إخـوة لك وطّنـوا أنفسـهم وأمـوالهم على إمضـاء العقد الــذي أمضــاه ســلفهم {**إن الله اشــترى من المؤمــنين أنفســهم وأمــوالهم بــأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلـون وعـداً عليه حقاً في التـوراة والإنجيل والقـرآن**}. ونحن على مائدة الله عز وجل نحمل العجز والضعف طمعاً في زيـادة الخـير، وأمـام أعـداء الله فقـوّة لا تلين؛ {**وكفى بربك هاديا ونصيرا**}.

أيها المسلم:

إن رأيتنا وعلمتنا فكن معنــــــــــا، تحمل التكليف مع إخوانك {**وتعـاونوا على الــبر والتقـوى**}، وإلا ففي هذه الرسـالة مـاهو تكليف لك منفـردا؛ علما وجهـادا - أي أنك لن تعجز أن تكون مثل أبي بصير رضي الله عنه –

هذا هو طريقنـا، عَبَّدَهُ الأنبيـاء والصـدّيقون والشـهداء والصــالحون، فأقبِل على الله بكليّتــك، ولا تبخس نفسك حقّها.

{**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**}

هذه عقيدتنا

نعتقد ماكـان عليه سـلفنا الصـالح من القـرون الأولى جملةً وتفصيلا.

فنحن على قــول أهل الســنة والجماعة في مســمىّ الإيمان، وسط بين المرجئة والخوارج، فنقـول أن الإيمـان قـول وعمل ونية وسـنّة، وكـذلك الكفر قـول وعمـل، وأنّ الإيمـــان مـــراتب وشـــعب وهي على درجـــات متفاوتة ونســـتثني في كمــال الإيمـــان، والكفر منه الأكـــبر ومنه الأصغر، والقـول بـأن؛ "الكفر العملي مطلقـاً كفر أصـغر، والكفر الإعتقـادي مطلقــاً كفر أكــبر" هو قــول بــدعي. فالكفر العملي منه الأكبر ومنه الأصغر، والكفر الإعتقـادي منه الأكبر ومنه الأصغر.

ونعتقد في قول القائل؛ "أنّ المرء لا يكفر إلا بجحــود قلبي" قـول بـدعي من أقـوال المرجئـة، فـالجحود يكـون بالعمل والقـــول كما يكـــون بـــالقلب، ونعتقد أنّ العمل الظـــــاهر هو دليل على البـــــاطن، إذ أن العمل عند أهل السـنة والجماعة قـدرة وإرادة، فحيث كـان العمل كـانت الإرادة إلا في حال الإكراه.

والكفر عنـــدنا كفر جهل وكفر إعـــراض، ونـــؤمن أن عامة كفر النـاس هو العنـاد والإعـراض وهو الكفر الـذي قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه، وكفر الطوائف كـــان عامته في العبـــادة؛ وهي النسك والـــولاء والبراء والحكم والتشريع.

ونعتقد أن أصل الدين واحد؛ هو إفراد الـرب بالعبـادة وهو دين الإسـلام، وإن اختلفت شـرائعه، قـال صـلى الله عليه وسلم: (**إنا معشر الأنبياء ديننا واحد**).

ونعتقد أن الفُرقة واتباع المتشابهات دون المحكمات، والهوى دون الهدى هي من علامات أهل البدع.

ونعتقد أن البــــدع ليست على مرتبة واحــــدة، فمنها مــاهو كفر صــراح كبدعة الجاهليــة، مثل قوله تعــالى: {**وجعلوا لله مما ذرأ من الحـرث والأنعـام نصـيباً فقالوا هـذا لله بـزعمهم وهـذا لشـركائنا**}. وقوله

تعالى: {**وقالوا مافي بطـون هـذه الأنعـام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتـةً فهم فيه شركاء**}. وقوله تعالى: {**ما جعل الله من بحيرةٍ ولاسائبةٍ ولا وصيلةٍ ولاحام**}. وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعةً لحفظ النفوس والأموال.

ومنها ماهو من المعاصي الـتي ليست بكفر أو يختلف هل هي كفر أم لا؛ كبدعة الخـــــوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة.

ومنها مـاهو معصـية ويتفق عليها ليست بكفر؛ كبدعة التبتل والصــيام قائمــاً في الشــمس والخصا بقصد قطع شهوة الجماع.

ومنها ماهو مكروه؛ كالإجتمـاع للـدعاء عشـية عرفـة، وذكر السلاطين في خطبة الجمعة.

ونعتقد في أسـماء الله وصـفاته ماكـان عليه السـلف الصالح وقولهم وسط بين المعطلة والمشبهة.

ونحن وسط بين المرجئة والخــوارج في بــاب الوعد والوعيد. ووعده ووعيده حق كله والمســلم إذا عصى ولم يتب توبــةً نصــوحاً فهو موكــول إلى رحمة الله تعــالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

ونعتقد بكل ماجــاء به رســول الله صــلى الله عليه وســـلم من أمـــور الغيب على الحقيقة كالجنة والنـــار والكرسي والعرش والصراط والميزان والمحشر وعــذاب القبر.

ونحن وسط في القدر بين الجبرية والقدرية؛ فأفعالنا ومشــيئتنا مخلوقتــان، والإنســان فاعل مختــار له إرادة ومشيئة وهو فاعل لأفعاله على الحقيقة.

والــدنيا دار ســنن لايجــوز تركها مع القــدرة عليهــا. والإلتفــات إليها شــرك، وتركها معصــية، وعــدم اعتبارها زندقة.

ونعتقد أن الصــــــوفية نحلة بدعية باطلة وأنها تفسد الدنيا والدين، وأن الشـيعة الـروافض طائفة كفر وهم من شر الخلق تحت أديم السماء من جهة المسلمين.

وأن الجماعـات الإسـلامية الـتي تـدخل الإنتخابـات والمجـالس التشـريعية هي جماعـات بدعية نـبرأ إلى الله من أفعالها، وأن المجـالس التشـريعية في البلاد العلمانية عمل من أعمال الكفر.

والتقليد شر لابد منه لمن لم يسعه إلا ذلك.

ونعتقد أن الحـاكم وطائفته المبـدلين للشـريعة هم كفار مرتدّون والخروج عليهم بالسلاح والقـوّة فـرض عين على كل مسـلم، وأن المعطّلين لجهـاد هـؤلاء تحت أي دعـوى؛ كعـدم وجـود الإمـام أو الإحتجـاج بـالحجج القدرية كفساد الناس أو عدم التمايز أو الإحتجاج بمـذهب ابن آدم الأول: {**لإن بسـطت إليَّ يـدك لتقتلـني ما أنا بباسط يدي أليك لأقتلك**} هم جـاهلون، يقولـون على الله مالا يعلمون.

والجهاد مـاضٍ إلى يـوم القيامة تحت كل بـرٍّ وفـاجر، ولاتجوز طاعته فيً معصية الله.

ونعتقد أن أي طائفة من النـاس إجتمعـوا على مبـدأ غـير الإسـلام هي طائفة ردّة وكفر كـالأحزاب القومية والوطنية والشيوعية والبعثية والعلمانية والديمقراطية.

وأن دعـوى عـدم التمـايز بين المسـلم والكـافر تحت دعوى المواطنة هي دعوى جاهلية باطلـة، وكـذلك دعـوى التمايز على أساس العرق أو الـوطن كما هو حـال الـدول الآن.

ونعتقد أن مقولة؛ (أقيمـوا دولة الإسـلام في قلـوبكم تقم لكم على أرضكم) هي عند أصحابها على معني جبريّ إرجائي.

ونعتقد أن الوعود الإلهية في كتاب الله وسنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم هي أوامر للمسـلمين لتحصـيل أسبابها والسعي في إدراكها.

ونعتقد أن المفتي إذا كان على هوى السـلطان، يفتيه بحسب ما يريد وإن كـان على خلاف الشـرع، ويـدور معه حيث دار، فيـبرر له أفعالـه، وينصـره بـالحق والباطل هو كافر مرتد.

وأما من تقلد المناصب عند طوائف الـــــردّة من العلماء والمشايخ، فهم أقسام:

1) قسم لبّس عليهم الطـاغوت حالـه، فخفي أمـره عليهم فهؤلاء قوم معذورون عند الله.
2) قسم علم حـال الطـاغوت، ولكنّه أراد أن يخفف شـرّه، وأن يحقق خـيراً لأهل الحق والـدين فهـذا مـأجور مثاب.
3) قسم علم حال الطاغوت، فـوالاه ونصـره، ودافع عنـه، وزوّر على النـاس دينهم، وكتم ما آتـاه الله من علم خدمة للطاغوت، طلباً للـدنيا والرياسة فهـذا كـافر مرتـد. هـــذا في نفس الأمر والله يعلم الســـرائر وليس لنا إلا الحكم بالظاهر وقرائن الحال.

ونعتقد أن كل من دان بغــير دين الإســلام هو كــافر، ســواء بلغته الرســالة أم لم تبلغــه، فهو كــافر كفر عنــاد وإعراض، ومن لم تبلغه فهو كافر كفر جهل.

ونعتقد أن من دخل الإســلام بيقين لايخـــرج منه إلا بيقين، ولحوق الرجل بالكفر أسرع من لحوقه بالإسلام.

ونعتقد أن شرائع الإسلام هي شعب الإيمان، من ترك واجباً من الواجبات خرج من الإيمان مع بقاء حكم الإسلام عليه. وإن أتى العبد بناقض من نــواقض الإسـلام لم تنفعه بقية الشعب إن وجدت.

ولا نكفر بمطلق المعاصي والذنوب والكبـائر، وهنـاك من المعاصي مــاهو كفر بــواح كسَــبِّ الأنبيــاء وامتهــان دينهم.

ونُحب أصـحاب النــبي صــلى الله عليه وســلم ونلعن مبغضيهم.

ونعتقد أن إجـــراء الأحكـــام الشـــرعية ليس له علاقة بأصل الدين، ولا نكفّر أحدا من المسلمين باجتهــاد وتأويل لاينقض عقد الإلـــــتزام، ولا تلازم بين الخطأ والإثم كما لا تلازم بين كفر النوع وكفر المعين.

ونعتقد أنّ تقدم المســلمين وتـأخرهم مناطه انحسـار الإيمان أو وضوحه علما وعملاً.

وأنّ ديـار المسـلمين الـتي حكمت بأحكـام الكفر هي ديــــار جامعة للوصـــــفين؛ وصف دار الكفر ووصف دار الإسـلام - أي كل واحد فيها بحسـبه - فالمسـلم مسـلم والكـافر كـافر، والأصل في أهلها الإسـلام سـواء منهم المعروف أو مستور الحال.

ونعتقد أن الطائفة المنصورة هي طائفة علمٍ وجهاد.

والحمد لله رب العالمين

الطائفة المنصورة طائفة مقاتلة

1) عن جـابر رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (**لا تـزال طائفة من أمـتي يقـاتلون على الحق ظـاهرين إلى يـوم القيامـة. قـال: فيـنزل عيسى بن مـريم صـلى الله عليه وسلم، فيقول أميرهم تعال صلِ لنـا. فيقـول: لا إن بعضـكم على بعض أمـراء تكرمة الله هـذه الأمة**)[1].

2) عن عقبة بن الحصـين رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا تزال طائفة من أمـتي يقـاتلون على الحق ظـاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم الدجال**)[2].

3) عن عقبة بن عامر فال: سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول: (**لا تـزال عصـابة من أمـتي يقـاتلون على أمر اللـه، قـاهرين لعـدوهم، لا يضرّهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك**)[3].

---

[1] رواه مسلم.
[2] رواه أحمد.
[3] رواه مسلم.

4) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصبة من المسلمين حتى تقوم الساعة**)[4].

فهذه الأحاديث تدل على أنّ الطائفة المنصورة التي مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرطها القتال في سبيل الله لإظهار الدين، وهي طائفة قائمة لم تنقطع أبداً ، (**لا تزال طائفة**...)، وهي قائمة على الحق ومعناه اتباع السلف الصالح، تهتدي بهدي الكتاب والسنة، ترفض الدخيل، أصيلة بانتسابها إلى الحق.

وأما قول كثير من السلف الصالح أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث؛ فهذا معنى حق ومعنى قولهم هذا أي أنها على عقيدة أهل الحديث، وعقيدتهم هي الأسلم والأعلم.

قال النووي رحمه الله: قال أحمد بن حنبل: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم).

قال القاضي عياض: (إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد بمذهب أهل الحديث).

قال ابن تيمية في فتواه بوجوب قتال التتار عندما ذكر الطائفة المنصورة: (أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما، فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام، وهم أحق الناس دخولا في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم)[5].

---

[4] رواه مسلم.
[5] مجموع الفتاوى 28/253.

لماذا الجهاد؟

خلق الله الخلق لعبادته {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبــدون**}، وانقسم الخلق إلى قســمين: منهم من آمن به ومنهم من كفر {**فريق في الجنة وفريق في السـعير * ولو شـاء الله لجعلهم أمـةً واحــــدة ولكن يــــدخل من يشــــاء في رحمته والظـــالمون ما لهم من ولي ولا نصــير**}. وجعل بعضـــهم لبعض فتنة {**وجعلنا بعضــكم لبعض فتنـــة أتصبرون**}. قال الله تعالى في الحديث القدسـي: (**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**)[6]. فــالمؤمن يفتن بالكــافر {**ولنبلـــونكم حـــتى نعلم المجاهـــدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**}.

وقد أمر الله المؤمـنين دعـوة الكـافرين إلى الهـدى والحق فمن أبى وأعرض أمر الله بقتاله حتى تكـون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله.

قــال صــلى الله عليه وســلم: (**أمــرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمـداً**

---

[6] رواه مسلم عن عياض بن حمار.

رســول الله)[7]. وقــال: (**بعثت بين يــدي الســاعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لاشريك له**)[8].

فالجهــاد أمر شــرعي ربــاني لتحقيق دين الله في الأرض ولتزول الفتنة (الشـرك) من الأرض، وحـتى لايبقى سلطان في هذا الوجود إلا سلطان الله {**قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**}.

والجهاد هو هوية المسلم في وجوده. قـال صـلى الله عليه وسلم: (**والجهاد ذروة سنام الإسلام**).

وقـال الله عز وجل في الحــديث القدسي مخاطبــاً محمــداً صــلى الله عليه وســلم: (**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**...)، إلى قوله: (**اســـــــــتخرجهم كما أخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليـك، وابعث جيشــاً نبعث خمسة مثلــه، وقاتل بمن أطاعك من عصاك**)[9].

وبالجهاد يتميز الناس إلى صفوف؛ صف أهل الإيمــان والتوحيد، وصف الكفر وأهله، وصف الخذلان والنفاق.

قال تعالى: {**وما أصـابكم يـوم التقى الجمعـان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعــالوا قــاتلوا في ســبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعنـاكم، هم للكفر يومئذ أقـرب منهم للإيمـان، يقولـون بـأفواههم ماليس في قلوبهم، والله أعلم بما يكتمون**}.

---

[7] متفق عليه.
[8] صحيح رواه أحمد عن ابن عمر.
[9] رواه مسلم من حديث عياض بن حمار.

من نقاتل؟

قال علي رضي الله عنه: (بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف:

1) سيف المشركين: {**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم. إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين. فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم**}.

2) سيف أهل الكتاب: {**قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ماحرّم الله**

ورسـوله ولايـدينون دين الحـقّ من الـذين أوتـوا الكتاب}.

3) سـيف البغـاة: {**فـإن بغت إحـداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي**}.

4) سيف المنافقين: {**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**})[10].

لماذا طوائف الردّة التي تحكم بلاد المسلمين قبل غيرها؟

مع ماتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعـدّة أسياف ومناط الجهاد هو {**حتى لا تكون فتنة ويكـون الـدين كله لله**} إلا أننا نعتقد أن قتـال طوائف الـردّة مقدّم على قتال غيرهم من المشـركين والمنـافقين وأهل الكتاب، وذلك لأسباب عدّة:

1) أنّهم أقـرب إلينا من غـيرهم: قـال تعـالى: {**قاتلوا الذين يلـونكم من الكفـار وليجـدوا فيكم غلظة**}.

قال ابن كثير في تفسير هـذه الآيـة: (أمر الله تعـالى المؤمنين أن يقـاتلوا الكفـار أولاً فـأولاً، الأقـرب فـالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بـدأ رسـول الله صـلى الله عليه

[10] ابن كثير.

وسـلم بقتـال المشـركين في جزيـرة العـرب، فلما فـرغ منهم وفتح الله عليهم مكة والمدينة والطـــــائف واليمن واليمامة وهجر وخيـبر وحضـرموت وغـير ذلك من أقـاليم جزيرة العـرب ودخل النـاس من سـائر أحيـاء العـرب في دين الله أفواجاً، شرع في قتال أهل الكتـاب فتجهز لغـزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب).

قال ابن قدامة: (مسـألة: "ويقاتل كل قـوم من يليهم من العدو لأن الأقـرب أكـثر حـرزاً، وفي قتاله دفع ضـرره عن المقابل له وعمّن وراءه، والإشتغال بالبعيد عنه يمكّنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لإشتغالهم عنه").[11]

2) لكــون المرتد أولى بالقتــال من الكــافر الأصلي:

قال تقي الدين ابن تيمية: (وقد اسـتقرّت السـنة بـأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصـلي من وجـوه متعـددة منهـا: أن المرتد يقتل بكل حـال، ولايضـرب عليه جزيـة، ولاتعقد له ذمـة، بخلاف الكـافر الأصـلي، ومنها أن المرتد يقتل وإن كـان عـاجزاً عن القتـال، بخلاف الكـافر الأصلي)[12].

وقـال أيضـاً: (وكفر الـردّة أغلظ بالإجمـاع من الكفر الأصلي)[13].

وقال أيضاً: (والصدّيق رضي الله عنه وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتـدين قبل جهـاد الكفـار من أهل الكتـاب، فإن جهـاد هـؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسـلمين...) ثم قال: (وحفظ رأس المال مقدم على الربح).[14]

3) أنّ قتالهم من جنس قتال الدفع:

قـال ابن تيميـة: (فالعـدو الصـائل الـذي يفسد الـدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمـان من دفعـه، فلا يشـترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان)[15].

---

[11] المغني مع الشرح الكبير ج 10 ص 372،373.
[12] مجموع الفتاوى 28 ص 534.
[13] 28/47.
[14] 35/159- 158
[15] الفتاوى الكبرى 4/608.

وهـذه الطائفة لا يُـرى منها في بلاد المسـلمين إلا إفسـاداً للـدين بنشر الفاحشة وتـرويج الرذيلـة، وتـزيين الكفر، ومطاردة الـدعاة، ولا نـرى منهم إلا إفسـاداً للـدنيا فنشروا الفقر، وباعوا مقدّرات الأمة من خـيرات الله فيها إلى أعـدائها، وربطـوا حيـاة الشـعوب بما يسـتورد من مفاسد الغرب من شؤون الحياة.

<u>4) ولما كـان الأمر الشـرعي مطـابق للأمر القـدري</u>، فإننا نـرى أنه لم يصـبح للكـافرين على المسـلمين سـبيل إلا بحبل هـؤلاء المرتـدين، فمن الـذي مكّن لليهـود في فلسـطين، فكـانت قـوّاتهم وطـوائفهم لا عمل لها إلا حماية هـذا الكيـان المسـخ، ومن الـذي جعل لقـوات الكفر والشـرك وجـوداً في بلاد المسـلمين على شكل عساكر وجنود وأسياداً للمال والحيـاة، إنهم بلا شك قادة الردّة وطوائفهم.

حكم قتال طوائف الردة في بلاد المسلمين

1) إذا إرتدّ الحاكم وجب على المسـلمين جميعـاً من غـير ذوي الأعـذار الشـرعية خلعه والخـروج عليـه، وهـذا الحكم قد أجمعت عليه طوائف أهل السـنة بلا مخـالف يُعلم.

قال ابن حجر عند شرحه لحـديث عبـادة بن الصـامت رضي الله عنه حيث يقـول: (**دعانا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فبايعنـاه، فكـان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السـمع والطاعة في منشـطنا ومكرهنـا، وعسـرنا ويسـرنا، وأثـره علينـا، وأن لاننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحـاً،**

عنـــدكم من الله فيه برهـــان). قـال ابن حجــــر: (وملخصه أنّه ينعـــزل بـــالكفر إجماعـــاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك)[16].

وقـال النـووي: قـال القاضي عيـاض: (أجمع العلمـاء على أنّ الإمامة لاتنعقد لكـــافر وعلى أنه لو طـــرأ عليه الكفر انعزل). وقال: (فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعـة، خـرج عن حكم الولايـة، وسـقطت طاعتـه، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمـام عـادل إن أمكنهم ذلـــك، فـــإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر)[17].

2) ومما يؤيد هـذا الوجـوب أنّ هـؤلاء المرتـدين قد حلّوا بديار المسلمين، وقد ذكر الفقهـاء أنّ الجهـاد فـرض كفاية إلا في مـــواطن منها أن يحـــلّ الكـــافر في ديـــار المسلمين فإنه يكون فرض عين.

قـال المـاوردي: (لأنه قتـال دفـاع وليس قتـال غـزو فيصير فرضه على كل مطيق).

قـال البغـوي: (إذا دخل الكفـار دار الإسـلام فالجهـاد فرض عين على من قرب وفرض كفاية على من بعد)[18].

قـال ابن تيميـة: (إذا دخل العـدو بلاد المسـلمين فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسـلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة)[19].

فتسـلط المرتـدين على بلاد المسـلمين هو من جنس دخول الكفرة بشـوكتهم بلاد المسـلمين لأن مناطه مناطه فقتالهم فرض عين "حـتى يظهر دين اللـه، وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو".

---

[16] فتح الباري 13-123.
[17] شرح صحيح مسلم 12-229.
[18] شرح السنة 10-374.
[19] الفتـاوى الكـبرى 4-608.ـ وانظـر: بداية المبتـدي مع شـرحه الهدايــة/ فقه حنفي 2/135، وحاشـية الدسـوقي على الشـرح الكبــير/ فقه مــالكي 2/175، وروضة الطــالبين فقه شــافعي 10/214، والمغني فقه حنبلي 8/364.

قتال الواحد من المسلمين للكفار جهاد كجهاد طائفة المسلمين وإن عدم الإمام

من مظاهر التحريف في هذا العصر أن يزعم أقوام فيه أن قتال الواحد والعشرة والعشرين والأربعين من المسلمين ليس بجهاد،كذلك دعوى عدم القتال وشرعيته إلا بوجود إمام مُمَكَّن، وهي دعوى عريضة ليس لها قوائم، بل مجرد تصورها كاف بالحكم عليها بالجهل والتباب، والقول بهذه الشروط وأمثالها من دعاوى كثيرة هي في الحقيقة مآلها إلى تعطيل الشريعة، وفيها دعوى الركون إلى الأرض، وليس هناك من حديث واحد يستطيع المُدّعي أن يستند إليه، أو يزعم أنّ فيه هذا المعنى، مع العلم أنّ القول بالشرطية هو من أبعد ما يخطر على بال

طالب العلم، بل وأقوال أهل العلم طافحة بالرد عليه، والأدلة الشرعية النقلية فيها الغناء لرد هذا الغثاء:

1) قال ابن حزم رحمه الله تعالى: (مسألة: ويُغزى أهل الكفر مع كل فاسق من الأمراء وغير فاسق ومع المتغلب والمحارب، كما يُغزى مع الإمام، ويغزهم المرء وحده)[20].

2) قال ابن قدامة المقدسي في المغني[21]: (فإن عُدِمَ الإمام لم يؤخر الجهاد، لأن مصلحته تفوت بتأخيره، فإن حصلت غنيمة قسمها أهلها على موجب الشرع).

3) قال ابن تيمية: (ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس هو صاحب الكتاب، والذي يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد، إلى أن تفرق الأمر بعد ذلك، فإذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يُطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك)[22].

4) قال الشوكاني: (وقد اختلف المسلمون في غزو الكفار إلى ديارهم هل يشترط فيه الإمام الأعظم أم لا؟ والحقّ أنّ ذلك واجب على كل فرد من أفراد المسلمين، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية مطلقة غير مقيدة)[23].

ومن الأدلة على ذلك:

<u>1) عدم وجود نص يفيد الشرطية:</u>

قال صديق حسن خان: (والشرطية التي يؤثر عدمها في عدم المشروط كما أقره أهل الأصول لا يصلح للدلالة عليها إلا ما كان يفيد ذلك مثل نفي القبول أو نحو لا صلاة لمن صلى في مكان متنجس أو النهي عن الصلاة في المكان المتنجس لدلالة النهي عن الفساد، وأما مجرد الأمر فلا يصلح لإثبات الشروط)[24].

فأين هذا النص الذي يفيد هذا لشرط؟ بل يوجد من الأحاديث ما يرد هذا المعنى كقوله صلى الله عليه وسلم:

---

[20] المحلى 7/299
[21] 8/353
[22] الفتاوى ج 18/158.
[23] الرسائل السلفية.
[24] الروضة الندية 1/80.

(**الجهـاد مـاضٍ منذ أن بعثـني الله إلى أن يقاتل آخر أمـتي الـدجال لا يبطله جـور جـائر ولا عـدل عادل**)[25]، وقد تقـدمت أحـاديث الطائفة المنصـورة وفيها هذا المعنى.

2) قوله تعالى: {**فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين**}.

قال القرطبي: (هي أمر للنبي صلى الله عليه وسـلم بالإعراض عن المنافقين وبالجد في القتال في سـبيل الله وإن لم يسـاعده أحد على ذلك). ثم قـال: (ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو لوحده)[26].

3) حادثة أبي بصـير رضي الله عنـه: وقد تـبين من قصـته رضي الله عنه أنه لم يكن تحت راية إمـام، إذ لم يلـتزم بالعقد والعهد الـذي عاهد الإمـام الكفـار عليـه، وقاتلهم لوحده منفرداً دون راية إمام مُمَكّن.

وحادثة أبي بصير ليست حادثة عين كما يظن بعضـهم بل احتج فيها شيخ الإسـلام تقي الـدين ابن تيمية كما ذكر ابن القيم في الزاد عند ذكـره للفوائد الفقهية المسـتفادة من صلح الحديبية.

قال: (ومنها أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام، فخرجت منهم طائفة فحـاربتهم وغنمت أمـوالهم، ولم يتحـيزوا إلى الإمـام لم يجب على الإمـام دفعهم عنهم، ومنعهم منهم. وسواءٌ دخلوا في عقد الإمـام وعهـده ودينه أو لم يـدخلوا، والعهد الـذي كـان بين النـبي صـلى الله عليه وسـلم وبين المشـركين لم يكن عهـداً بين أبي بصـير وأصـحابه بينهم. وعلى هـذا فـإذا كـان بين بعض ملـوك المسـلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهـد، جـاز لملك آخر من ملوك المسـلمين أن يغـزوهم، ويغنم أمـوالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهـد، كما أفـتى به شـيخ الإسـلام في نصـارى ملطية وسـبيهم، مسـتدلاً بقصة أبي بصـير مع المشركين)[27].

وقد قـال الله تعـالى: {**وخـذوهم واحصـروهم واقعدوا لهم كل مرصد**}.

---

[25] رواه أبو داوود.
[26] أحكام القرآن 5/293.
[27] زاد المعاد 3/309.

4) قــول أبي بكر رضي الله عنه في قتــال المرتـــدين: (والله لو لم يبق إلا الـــذر لجاهـــدتهم به)، فــانظر إلى الصــديق رضي الله عنه كيف يــرى وجــوب مقاتلة هــؤلاء المرتـــدين ولو وحـــده دون بقية النـــاس، فسبحان من قسَّم الهداية والعقول.

بماذا سَنُتَّهَم في جهادنا؟

لقد درج أعــداء الله صــوناً لعقائــدهم ورياســتهم أن يتهموا المؤمـنين بشـتى التهم: كـاذبين على الله جل وعلا وعلى أنفسهم وعلى الناس، وهي إحدى الطرق في الصد عن ســبيل الله تعــالى، وقد فضح الله هــذه الــدعاوى وكشف أمرها للمؤمــنين ليكونــوا على بصــيرة ونــور من ربهم، فلا تخبو جذوة الإيمان في قلوبهم، ولاينصــرفوا عن شرعه خجلاً منه، واستحياءاً من أن يظهروه أو يعلنوه.

ومن هذه التهم:

1) سَـنُتَّهَم أنّنا نسـعى إلى المناصب والحكم؛ قـال تعالى: {**قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجـدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض**}.

2) سَنُتَّهَم بالإفسـاد في الأرض والإتيـان بـدين جديد؛ {**قال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخـــاف أن يبـــدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد**}.

3) سَـــنُتَّهَم أننا باتباعنا يحصل الفقر وتعطل مـــوارد الإقتصاد - كقطع السـياحة وتعطيل دور الخنا والفنـادق -: {**وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضـنا**} ، {**وقال الملأ الذين كفــروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون**}.

4) إتهامهم لنا بفرض الرأي بالقوة والغلبة وليس عن طريق الأغلبيــة. قــال تعــالى: {**فأرسل فرعــون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون**}.

وجمـــاع ذلك كله أن يـــردّوا النـــاس عن دين الله والهـدى. قـال تعـالى: {**ودوا لو تكفرون كما كفـروا فتكونــون ســواء**}، {**ولن ترضى عنك اليهـود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**} ، {**وقال الذين كفروا لرســلهم لنخــرجنكم من أرضــنا أو لتعــودن في ملتنا**}، {**إنهم إن يظهـــروا عليكم يرجمـــوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً**}.

فكن أخي المســـلم؛ على حـــذر من أن يفتنـــوك، واعتصم بحبل الله الـذي لا يضل من تمسك بــه، تكن من الناجين، واستعن بالله ولا تعجز، فإنما وراءك جنــان الخلد {**في مقعد صـــدق عند مليك مقتــدر**} إن قـــاربت وسدّدت، أو نصر من الله وتمكين.

{**وأخــرى تحبونها نصر من الله وفتح قــريب وبشر المؤمنين**}.

واطلب الموت توهب لك الحياة.

والحمد لله رب العالمين